الألوان في الألبسة من منظور الفقهي الإسلامي*

طوبى هاجر" قورقماز**

ملخص البحث

هدى دين الإسلام المسلمين إلى ما سمّاه بالفضيلة والعفاف، وجعل التستّر رمزًا أساسيًا في الأدب والحياء باعتبار أنّ أول من تستر، هما آدم -عليه السلام- وحواء، وذلك بعد إغوائهما فشعرا بالحياء والخجل بعد أنْ بدتْ لهما سوآتهما. وصار التبرّج من العادات الجاهلية التي ذمّها الإسلام، وفي المقابل حثّ على التزيّن باللباس الساتر والمصون للأجساد من كلّ شيء يؤذيها من حرّ وبرد وثلج ومطر.

إن ستر العورة الذي تعتبره الشريعة الإسلامية من الضرورات الدينية في الحياة اليومية، وحتى أنه من شروط صحة بعض العبادات. ولكون ستر العورة من أهم مظاهر اللباس الذي له بُعد أخلاقي وأدبي وجمالي ورمزي يشكّل حيزا مهمّا في الإسلام، ومن أهميته تناول كثير من كتب الأحاديث بآدابه وشكلياته تحت عنوان الفصل المستقل "كتاب اللباس"، أما الكتب الفقهية فقد تناولت موضوع اللباس بمبادئه وقواعده الشرعية الأساسية والهيئات المستحبة والمكروهة والأداب بشكل مفصّل.

أما اللون -ما له دور حاسم في اتصال الإنسان بعالمه الخارجي- يلعب دورًا مهمًا في اللباس، حيث أنه من أهم المظاهر المرئية في الأزياء. ومع ذلك أن اللون -كما ثبت علميّا وعُرف منذ قديما- له تأثير بالغ في أفكار الإنسان وعواطفه ومهاراته، ولأجل ذلك نرى له الكثير من دلالات خاصة

* قد طرقت الباحثة تحليل بعض الروايات المذكورة في هذه الدراسة في رسالتها الماجستير التي عنوانها *أثر اللون في أحكام الفقه الإسلامي وتطبيقاته المعاصرة* المقدمة في كلية الشريعة بجامعة يرموك عام2009، وكذلك في البحث المقدم في مؤتمر انعقد في مدينة كوتاهيا في عام مايو/ 2015 بعنوان *اللون وتأثيره في الأحكام الفقهية* باللغة التركية (*Renk ve Fıkhî Hükümlere Tesiri*, IV. Türkiye Lisansüstü Çalışmalar Kongresi Bildiriler Kitabı -IV (İlahiyat) 14-17 Mayıs 2015, Kütahya, 2015, s. 301-314).

** طالبة الدكتوراة، جامعة إستانبول، كلية الإلهيات، قسم الفقه وأصوله.

ورمزية في مجالات عدة على مرّ التاريخ البشري. أما في العصر الحديث -ما يمثل للون عصرا ذهبيا- صار اللون من أكثر الأمور المهتمة، ومن أبرز مجالاته هو الألبسة والأزياء.

من أهداف هذه الدراسة أن تبرز مدى أهميته في إلقاء الضوء على الألوان في اللباس وذلك من خلال الإستطلاع على مسائل اللباس المتعلقة باللون في كتب الفروع الفقهية ومناقشتها. ويستوجب موضوع الدراسة أيضا تناول استعمال "الموضة" ألوانا محددة وتمييزها على غيرها في الأزياء -لغرض تضخيم الإستهلاك- من المنظور الشرعي.

تمهيد

موضوع هذه الدراسة التي عنوانها *الألوان في الألبسة من منظور الفقه الإسلامي* يتطلب التعرض بالإشارة الموجزة إلى بعض ما يتعلق باللباس وباللون للحاجة إليه.

اللباس

تعريفه

اللباس في اللغة الكسوة، ويطلق عليه اللبس واللبوس والملبس، وهو ما يُلبَسه الجسم ليستتر به[1]. ومعناه الاصطلاحي لا يختلف عن معناه اللغوي إذ نص الفقهاء في كتبهم على ما يتوافق به[2].

أهميته

اهتمت الشريعة الإسلامية الحنيفة باللباس وستر العورة، وذلك في الصلاة وفي خارج الصلاة، ولأن من فطرة الإنسان الحياء، ومن حيائه الستر واللباس. إن الستر من النعم التي منّ الله لعباده[3]، وأقرّ الإسلام بالستر الذي هو من الحاجة الإنسانية والكرامة والفطرة السليمة، قال الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي

---

[1] تاج العروس، الزبيدي، دار الكتب العلمية، 2007، بيروت، 242/16-245.

[2] الإختيار، الموصلي، تحقيق: علي عبد الحميد، دار الخير، 1988، بيروت، 462/4.

[3] عندما وقع آدم وحواء في فتنة إبليس الذي هو عدو مبين، فبدت سوآتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، فأخرجا من الجنة عقابا لهما، فمن أهم ما يتبين من قصتهما؛ أن لباسهما كان من نعم الجنة وزينتها، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون﴾ (الأعراف: 27).

آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[4] دلت الآية على معان كثيرة، فمنها وجوب ستر العورة، وتحسين الهيئة، وتنظيف البدن، والتجمّل، ولبس ما عند المسلم من الثياب يوم الجمعة والعيد وسائر الإجتماعات على الخير. والآية فيها إبطال عادة العرب المشركين وهي التعرّي في الحج عند مساجد معينة، وهذا هو سبب نزول الآية[5].

حكمه في الفقه الإسلامي

يتردد حكم اللباس بين الأحكام الشرعية الخمسة حسب الأحوال[6]: *فرض* إذا كان لستر العورة أو لدفع الحر والبرد أو الأذى عن البدن؛ *ومستحب* إذا حصلت به الزينة والتجمل ضمن الحدود المشروعة؛ *مكروه* إذا لبس مظنة للتكبر والخيلاء؛ *حرام* إذا كان بقصد الشهرة والكبر، وإذا لبس ما نهى الله تعالى عنه؛ *مباح* ما كان لغير ذلك.

ضوابطه العامة

يشترط لمشروعية اللباس ما يلي:

[4] الأعراف: 31.

[5] نقل المؤرخون بأن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة إلا قريش، كانت تعرف قريش بالحمس (الحمس في اللغة: التشدد في الدين) وما عداهم بالحلة، والحمس كانوا يقولون: "نحن أهل الحرم فلا ينبغي لأحد من العرب أن يطوف إلا في ثيابنا ولا يأكل إذا دخل أرضنا إلا من طعامنا"، فلذلك كانت لهم ميزات على الحلة. فمن الحلة من لم يكن له صديق من الحمس، ومن لم يجد من يستكريه ثيابا -للطواف- من الحمس، كان بين أحد أمرين: إما أن يطوف بالبيت عريانا رجلا كان أو امرأة، وإما أن يطوف في ثيابه، فإذا فرغ من طوافه ألقى ثوبه عنه، فلم يمسه أحد، وكان ذلك الثوب يسمى "اللقي"، وكانوا يقصدون من طرحهم ثيابهم طرحهم ذنوبهم معها، فهذا الطرح كان واجب على الحلة (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، آوند دانش للطباعة والنشر، 2006، بيروت، 279/6-284؛ والكشاف، الزمخشري، دار الفكر، 1983، دمشق، 72/2؛ وروح المعاني، الآلوسي، 162/5؛ والتحرير والتنوير، ابن عاشور، دار التونسية للنشر، 1984، تونس، 92/8-94؛ واللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، محمد عبد العزيز عمرو، ص 20-21)، قال تعالى: ﴿فإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليهم آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (الأعراف: 28)

[6] الإختيار، 462/4-463.

1- أن يكون ساترا لجميع العورة، والعورة هي كل ما حرّم الله إظهاره أمام من لا يحل له النظر إليه. وعورة الرجل ما بين السرة والركبة، وعورة المرأة جميع بدنها عند الرجال الأجانب ما عدا الوجه والكفين.

2- أن لا يكون شفافا بحيث يبيّن لون البشرة من تحته، لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله قال: " *صنفان من أهل النار أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساءً كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ...*"[7]. والحديث فيه إشارة إلى أن من تسترت بلباس شفاف ورقيق الذي يصف ما تحته لم تستتر في الحقيقة.

3- أن لا يكون مجسِّما أو ضيقا للعورة بحيث يصفها.

4- أن لا يشبه الملابس الخاصة بالكفار، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " *من تشبّه بقوم فهو منهم*"[8]، وألا يشبه لباس كل من الرجل والمرأة لباس الآخر ومن خصوصيات الجنس الآخر، لأن رسول الله لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال[9].

5- أن لا يكون لبس شهرة ومظنة كبر، ولباس الشهرة هو الثوب الذي يشتهر به صاحبه بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم أو شكله لأشكال ثيابهم، فيرفع الناس إليه أبصارهم، ويختال عليهم بالعجب والتكبر[10]. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " *من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه نارا*"[11].

6- أن يخلو من الإسراف والتبذير، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[12]، ومن الإسراف أن يقتني المرء من اللباس فوق حاجته أو التغالي في ثمن الثياب.

---

7 مسلم، كتاب اللباس، باب النساء الكاسيات العاريات...، ح 5547.
8 أبو داود، كتاب اللباس، باب في لباس الشهرة، ح 4031.
9 البخاري، كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال، ح 5546.
10 نيل الأوطار، الشوكاني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1971، القاهرة، 113/2.
11 أبو داود، كتاب اللباس، باب في لباس الشهرة، ح 4029.
12 الأعراف: 31.

7- أن لا يكون حريرا ولا ذهبا بالنسبة للرجل، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الحرير فجعله بيمينه وأخذ الذهب فجعله بشماله، ثم قال: " *إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم*"[13].

اللون

المعنى اللغوي والإصطلاحي

يرد اللون في اللغة بعدة معان واستعمالات، منها:

أولا: اللون هيئة ، كالسواد والحمرة[14].

ثانيا: اللون صفة للجسم[15].

ثالثا: اللون هو ما فَصَلَ بين شيء وبين غيره[16].

رابعا: هو تكيّف ظاهرِ الأشياء في العين[17].

خامسا: النوع والضرب[18].

واللون جمعه "ألوان"، وأسماء الألوان مذكّرها يأتي على وزن "أفعل"، ومؤنّثها على وزن "فعلاء". وفي اللغة العربية تعبيرات كثيرة تستخدم فيها أسماء الألوان لوصف المشاعر والأحاسيس، فيقال: "فلان ضِحكته صفراء"، و"فلان يتطاير الشرَر الأحمر من عينيه"[19]، وكذلك يقال: "نظرةُ فلانٍ وردية"

---

[13] أبو داود، كتاب اللباس، باب في الحرير للنساء، ح 4057؛ ابن ماجه، كتاب اللباس، باب الحرير والذهب للنساء، ح 3595.

[14] لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد، دار الكتب العلمية، 2005، بيروت، 484/13.

[15] الإفصاح في اللغة، حسين موسى وعبد الفتاح الصعيدي، 1319/2.

[16] لسان العرب، 484/13؛ والإفصاح، 1319/2.

[17] الإفصاح، 1319/3.

[18] لسان العرب، 484/13.

[19] نظرية اللون، يحيى حمودة، د.م، د.ت، ص 5.

أو "نظرته سوداء" إلى ما شابه هذا. ويقال: "تلوّن"؛ إذا اكتسى لونا غير اللون الذي كان له[20]، ويقال: "فلان متلوّن"، إذا كان لا يثبت على خُلُق واحد[21].

وأطلقت اللغة العربية بعض أسماء الألوان ومشتقاتها على بعض الأسماء والمعاني، مثل الأسود، يعني العظيم من الحيات الذي يكون فيه سواد. ويأتي الأسودان بمعنى: التمر والماء[22]، وبمعنى: الحوت والعقرب[23]، وبمعنى: الحرة والليل. والأبيض[24]: عرق السرة، وقيل: عرق في الصلب. ويأتي الأبيضان بمعنى: الماء والحنطة أو الخبز، وبمعنى: عرقا الوريد. والأيام البيض: وهي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من الشهري القمري، سميت لياليها بيضا، لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها.

أمّا اصطلاحا فاللون متناول في علوم ومجالات متنوعة ومتعددة، والاهتمام بالألوان قديما وحديثا لم يكن مقصورا على البُعد الجمالي والفيزيائي فحسب. فدخل اللون في مجالات كثيرة، ومن الطبيعي أن يعرّفه كل تخصص بحسب نظرته الخاصة إليه. ومن أهم تلك التعريفات ما يلي:

واللون في الطب؛ هو ذلك التأثير العضوي (الفسيولوجي) الناتج على شبكية العين، سواء كان ناتجا عن المادة الصباغية (الملوّنة) أو عن الضوء الملوّن[25]. واللون في الفيزياء الطبيعية؛ هو تلك الأشعة الملونة الناتجة عن تحليل الضوء أو عن طول موجة الضوء[26]. وبعبارة أخرى: إن اللون خاصية في الضوء تختلف باختلاف طول الموجة، ويتوقف اللون الظاهري للجسم على طول موجة الضوء الذي يعكسه، فالجسم الذي يعكس كل الموجات يبدو لونه أبيض، والذي لا يعكس أية موجة يبدو أسود[27]. وأما اللون في الفنون؛ فهو عنصر مهم في كل الأعمال المرئية من رسم وتزيين وزخرفة ونسيج وغيرها.

---

20 مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، مادة "لون"، ص 751.

21 لسان العرب، مادة "لون"، 484/13.

22 قالت عائشة رضي الله عنها: "*توفي رسول الله حين شبعنا من الأسودين: التمر والماء*" (البخاري، كتاب الأطعمة، باب الرطب والتمر...، ح 5442؛ باب من أكل حتى شبع، ح 5383).

23 "*إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الأسودين في الصلاة*" (أبو داود، كتاب الصلاة، باب العمل في الصلاة، ح 921؛ والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في قتل الأسودين في الصلاة، ح 390، وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه غيرهما).

24 لسان العرب، مادة "بيض"، 136/7.

25 نظرية اللون، ص 5.

26 مثل الطيف الشمسي أو غيره من أطياف لمبات الكهرباء المختلفة.

27 موسوعة المورد العربية، منير البعلبكي، 1047/2؛ والموسوعة العربية الميسرة، الجمعية المصرية، 2109/4.

ويقصد بالألوان في الفن التشكيلي المواد الصابغة التي يستعملها الفنانون أو المشتغلون بهذا المجال لإنتاج التلوين[28]. واللون في علم الفلسفة؛ هو كل ما يُرى بالضوء، ولذلك قيل فيه إنه المحرّك للمشفّ بالفعل[29].

وأما اللون في علم الفقه فليس معرّفًا بتعريف مستقل وخاص، ولكن استعمله الفقهاء القدماء والمعاصرون على غرار معناه اللغوي، بأنه صفة للأشياء هيئةً ومظهرًا –تميز بعضها عن بعض–[30].

أهمية اللون وميزاته

للألوان دور حاسم في اتصال الإنسان بعالمه الخارجي، وفي تأدية ذاكرته لوظائفها المناسبة، وفي تحقيق مهمات الدماغ التعليمية، ذلك بأن الإنسان يستطيع أن يطوّر الروابط الملائمة بين الأحداث والأمكنة والأشياء عبر مظهرها وألوانها الخارجية[31].

من الناحية العلمية فإن للون أهميته الكبرى. فقد تناولته عدة مجالات بالدراسة والبحث. إلا أن الفيزياء إذ تعتبر اللون خاصة ضوئية، فإن الطب يعتبره الإحساسَ البصريَّ الذي هو أهم مصدر للإدراك وإحدى الوسائل العلاجية لبعض الأمراض. وفي علم الفلك نظام تصنيفي أو ترتيبي للنجوم حسب شدة لمعانها ولونها[32]. ويرى علم النفس أن اللون إحساس ذاتي يتعلق بالضوء، ومن أجل هذا كانت

---

28 نظرية اللون، ص 5.

29 موسوعة مصطلحات ابن رشد الفيلسوف، جيرار جهامي، ص 944.
المحرك : هو الشيء الذي عنه يتغير (موسوعة مصطلحات ابن رشد الفيلسوف، ص 1005).
والمشفّ بالفعل: يتحرّك على ما يظهر بفعل اللون إذ الهواء يبدو في كثير الأحيان ملوّنًا بلون نراه بواسطة الهواء، كما أن الجدران والأرض تتلوّن بلون النبات عند مرور السحب فوقها (المرجع السابق، ص 1043–1044).
يُعدّ اللون مشكلةً (أي مسألة) في الفلسفة لكونه جزءًا من علم الطبيعة.

30 الموسوعة الفقهية الكويتية، 34/35؛ والموسوعة الفقهية الميسرة، محمد قلعه جي، 1697/2.

31 معجزة الله في خلق الألوان، هارون يحيى، ص 10.

32 A Concise Dictionary Of Astronomy, 78-79
دلت الدراسة على اقتران وارتباط الألوان منذ قرون عديدة بأسماء الكواكب السماوية وبدا ارتباط اللون الفضي بالقمر أمرا واضحا، والذهبي بالشمس، والأحمر بالمريخ، والبنفسجي بعطارد... الخ (بحث دلالات اللون، ص 147).

الألوان تُستعمل في تحليل الشخصيات والأمزجة إذ أنها تؤثر في النفسيات والأعصاب. ويَعُدّ التاريخُ اللون أحد المصادر التي تخبر بالكثير عن الأقوام والشعوب التي عاشت على مدى التاريخ البشري حيث أن الألوان اتّخذت رموزا من قِبل الناس والدول والأنظمة، وما زالت تتّخذها إلى يومنا هذا. ويتغذى علم اللغة في كثير من تعبيراته على الألوان، وكذا في وضع أسماء دقيقة لوصف الألوان المختلفة. ومن الناحية الفنية فإن اللون كان منذ زمن قديم -وما يزال- نقطة حاسمة في الفنون المرئية من رسم وعمارة وتصميم وزخرفة وأزياء ونسيج وغيرها[33]. والبعُد الجمالي للألوان هو أول بُعدٍ يتبادر إلى ذهن أكثر الناس، وإن الجمال ليعرض نفسه غالبا في أشياء دقيقة ورقيقة، بل إن استعمال الألوان يدل على مدى البُعد الجمالي وعلى مدى العمق الحضاري لدى المستعمِل.

والألوان في القرآن الكريم والأحاديث النبوية أن لها رموزا ودلالات بليغة تساعد على نقل الصورة المرئية كاملةً إلى العقل، ذلك بأن الإنسان إنما يربط بين الأحداث والأمكنة والأشياء بعضها ببعض من خلال مظهرها وألوانها الخارجية[34]. أما كتب الفروع الفقهية تحتوي كثير من الأحكام والمسائل التي تتعلق بالألوان، فمن أهمها اللباس والزينة.

المعاني والرموز التي ترتبط بالألوان

استخدم الإنسان -على مرّ التاريخ- وسائط عديدة للتعبير عن أفكاره ونقل رسائله، وكان اللون إحدى هذه الوسائل، بل أكثرها استخداما[35]، وما زالت تُستخدَم الألوان في الحياة اليومية بدلالات خاصة

وجاءت الألوان بدلالاتها ومعانيها في إسراء ومعراج الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف الكواكب والأفلاك وألوانها للسماوات السبع التي تراوحت بين اللون الأبيض والأخضر والأحمر والرصاصي والذهبي (بحث دلالات اللون، ص 148)

[33] ثبت أن استعمال الألوان في الرسم يمتدّ من مئة وخمسين ألفًا إلى مئتي ألف سنة.

[34] من سمات القرآن الكريم، سيد خضر، ص 52؛ ومعجزة الله في خلق الألوان،ص 10.

[35] فالأحمر عند قدماء الشعوب كان وما زال يرمز إلى النار والحياة، والأزرق الغامق عند الفرس في القرون الوسطى إلى الموت، والأزرق السماوي إلى الحياة ، والبنفسجي عند الرومان إلى القوة إلخ (الموسوعة العربية، 228/17). وكان يُرمَز لكل قارة قديما بلون بشرة ساكنيها، فلآسيا اللون الأصفر، ولأمريكا الأحمر، ولأوروبا الأبيض، ولأفريقيا الأسود (التخطيط والألوان، كاظم حيدر، ص 211؛ وبحث "أهمية الضوء واللون في حياة الإنسان الصناعية والنفسية، معاذ خليل حمد، ص 287). والجهات أيضا كان يُرمَز لها بألوان؛ فالشمال أسود، والجنوب أحمر، والشرق أخضر، والغرب أبيض (الموسوعة العربية، 228/17).

ورمزية، وها هي مجالات الحياة الإنسانية شاهد ظاهر على كثرة وسعة تطبيق الإنسان لها؛ من ذلك إشارات المرور وشاخصاتها التي توضع للحفاظ على حسن السير، فالأحمر يستخدم للتوقّف، والأصفر للتنبيه، والأخضر للسماح بالمرور. وفي بعض الدوائر والمناسبات الرسمية والمدارس يُلزم الحاضرين بلبس لون معين، وفي بعض المعاملات الرسمية يكون التوقيع أو الورق المعتمد بلون معين. وتتّخذ بعض التيارات الفكرية والمعتقدات الخاصة ألوانا معينة في شعارها تُعرف به، كالأحمر رمزًا للشيوعية، وألوان قوس قزح شعارا للمثليين جنسيا ونحو ذلك.

اتخذت الألوان كذلك راية ولواءا في التاريخ العام والتاريخ الإسلامي. وكان لكل دولة رايتها التي تتميز بها عن غيرها باللون وفي بعض الأحيان بالشكل. إن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ لونين رئيسيين لتمييز ألويته هما: الأبيض والأسود رغما أن الألوان في تلك الفترة لم تكن تمثل شعارا ورمزا[36].

تأثيرات الألوان في النفسية البشرية

الألوان تخاطُب العواطف والنفس البشرية برمزية قديمة قدم الإنسان؛ إذ أن هناك ارتباطا وثيقا بين الألوان والحالة النفسية حيث تؤثر على الانفعالات والعواطف والسلوك والأمزجة، لأنه بدخول طاقة الضوء جسمَ الإنسان تتنبّه الغدّة النخامية والصنوبرية، وهذا ما يؤدي إلى إفراز هرمونات معينة تقوم بإحداث مجموعة من العمليات العضوية، وهذه العمليات العضوية الناتجة من الألوان تبيّن لنا سبب تأثيرها على الأفكار والأمزجة والسلوك[37]، ولذلك تعطي الألوان إشارات تحليلية وتساعد في تحليل

---

[36] قال ابن خلدون في المقدمة: " *وأما تكثير الرايات وإطالتها فالقصد به التهويل لا أكثر، وربما يحدث في النفوس من التهويل زيادة في الإقدام، وأحوال النفوس تلوّناتها غريبة. ثم إن الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات، فمنهم مُقلّل بحسب اتساع الدولة وعِظَمها. فأما الرايات فإنها شعار الحروب منذ عهد الخليفة، ولم تزل الأمم تعقِدها في مواطن الحروب والغزوات لعهد النبي صلى الله عليه وسلم وَمن بعده من الخلفاء... أو بما اختص به الخليفة من الألوان لرايته كالسواد في رايات بني العباس، فإن راياتهم كانت سودا حزنا على شهدائهم من بني هاشم، ونعيا على بني أمية في قتلهم، ولذلك سمّوا المسوّدة... ولما نزع المأمون عن لبس السواد وشعاره في دولته، عدل إلى لون الخضرة، فجعل رايته خضراء...*"(ص 202).

[37] الموسوعة العربية، 231/17؛ وجريدة السبيل، العدد 750، ص 11.

الشخصيات[38]، واعتمدها علماء المسلمين، منهم رأس مفسّري الأحلام ابن سيرين في تفسير الأحلام[39]. والتأثير العلاجي للألوان معروف منذ زمن قديم، مثل رئيس الأطباء المسلمين ابن سينا قد اعتبر اللون واحدا من العوامل الهامة في الطب الطبيعي، وجعل من اللون علاجًا لبعض الأمراض[40]. وقد كان الأطباء في القرون الوسطى يستعملون الأشعة الملوَّنة في العلاج -خاصة الضوء الأحمر-[41]. وكان المرضى في العهد العثماني يُعالجون في غرف ملوّنة[42]. وبدأت تنتشر الآن مراكز للألوان العلاجية في أماكن متعددة من أنحاء العالم.

ويعتمد الإنسان – دون أن يشعر في الغالب– على الألوان في كثير من أمور الحياة اليومية؛ في تصميم منزله ومكان عمله، وفي اختيار ملابسه، وفي شراء مختلف المنتجات، وحتى في بعض سيره خلال الإشارات الإرشادية، وفي سائر صوره حياته. وإن الكثير من مصمّمي الإعلانات والدعايات وكذلك مصممي الأزياء يستخدمون الألوان الدافئة التي تجذب الناس أكثر إلى ما يعرضونه من سلع وخدمات وإنتاج.

وقد أجريت تجارب عديدة لتثبت أن الألوان الدافئة -الأحمرَ والأصفرَ والبرتقاليَّ- تثير لدى الإنسان التحفّز والحركة والحرارة[43]، وأن الألوان الباردة -كالأزرق وما قاربه- مهدّئة ومسكّنة[44]. وإذا كانت الألوان الساطعة المتألقة تُشعر بالحيوية والسرور؛ فإن الألوان الداكنة تشعر بالحزن والكآبة

---

[38] تقول التجارب النفسية اللون الأزرق هو لون من يميل إلى العلاقات العميقة التي تدوم طوال العمر، واللون الأخضر هو لون من يتمتع بشخصية مستقلة ويعبّر عن نفسه بالعمل، واللون الأصفر هو لون شخصية إجتماعية... الخ (نظرية اللون، يحيى حمودة، ص 101-102؛ وجريدة السبيل، العدد 750، ص 11).

[39] اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، إبراهيم محمد علي، ص 8.

[40] تقوم أيضا نظرية العلاج باللون على أساس أثر الألوان على السعة العضوية للإنسان، وأثر ذلك على النشاط الهرموني، حيث تتحكّم السعة العضوية ودرجة الإضاءة بدرجة إفراز بعض الهرمونات. وتستعمل الألوان الدافئة بوجه عام وبعض الألوان الباردة بوجه خاص لعلاج بعض الأمراض العصبية مثل حالات الاضطراب، وتعب الأعصاب وضعفها، والهستريا، والتوتر العضلي، وأزمات الإثارة... وغيرها، وذلك لتأثير هذه الألوان على الجهاز العصبي. (نظرية اللون، ص 103-107؛ وجريدة السبيل، العدد 750، ص 11؛ مقدمة كتاب *معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم*، زين الحويسكي؛ اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، إبراهيم محمد، ص 8.)

[41] نظرية اللون، ص 105.

[42] TDV İslam Ansiklopedisi, 34/574.

[43] قد دلت التجارب العلمية على أنه لا يوجد ارتباطًا بين الإحساس العضوي بالحرارة وبين اللون، وأن الإحساس بالحرارة إحساس نفسي فقط -خارجا عن كل التغيّرات الحرارية للإنسان- (نظرية اللون، ص 98).

[44] الموسوعة العربية، 230/17؛ ونظرية اللون، ص 97-99.

والغموض، في حين أن الألوان الرمادية هي التي تسوق إلى الهدوء والاتزان والطمأنينة[45]. والألوان الفاتحة بوجه عام أكثر تحريكا وتنبيهًا، والألوان الغامقة تبعث في الإنسان ميلًا إلى الحزن والقلق وغيرها من المشاعر السلبية[46].

التأصيل الفقهي للون في أحكام اللباس

سبق القول بأن اللون في اصطلاح الفقهاء لا يختلف عنه في اصطلاح اللغويين، فهو هيئة الشيء وصفته، وفي الوقت نفسه فإن اللون أحد الدلائل على ماهية الشيء. وإن الفقهاء قد بحثوا اللون وصفا ظاهرا عموما، وخُصص للباس قسما مستقلا في معظم كتب الفروع الفقهية. اتفق الفقهاء على أن الأصل في ألوان اللباس الحل والإباحة إلا إذا ورد عليه دليل شرعي يخصصه أو يستثني منه. ولاختلاف الأدلة الشرعية اختلف الفقهاء في حكم بعض الأصباغ والألوان المعدودة كالأحمر والمزعفر والمعصفر والسواد في لباس الرجال. أما بقية الألوان كالأزرق والرصاصي والأخضر وغيرها مما ورد وما لم يرد فيها نصوص مخصوصة جائز لبسها، وحكمها باق على الأصل وهو الحل، إلا ما قام الدليل على المنع منه وتحريمه. قال ابن عابدين: " *ولا بأس بسائر الألوان*"[47]. وقال النووي: " *يجوز لبس الثوب الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر والمخطط وغيرها من ألوان الثياب، ولا خلاف في هذا ولا كراهة في شيء منه*"[48].

جاءت بعض الروايات في موضوع اللباس بتعارض ظاهري، إذا أمكن فيجب السعي لإزالة التعارض بالجمع والتوفيق بين النصوص بدون تمحل واعتساف، فهو أولى من اللجوء إلى الترجيح

---

45 اللون علمًا وعملًا، محي الدين طالو، دار دمشق، 1995، دمشق، ص 11 و 23.

46 نظرية اللون، ص 99.

تختلف الألوان كذلك من حيث تأثيرها النفسي باختلاف دلالتها على وزن الملوَّنات، فالأشياء ذات الألوان الباردة الفاتحة تظهر للعين أخف وزنا، في حين أن الألوان الدافئة والغامقة تبدو لنا أكثر ثقلاً. ومن التجارب التي سُجّلت أن رافعي الأثقال وجدوا صعوبة في رفع صناديق مدهونة باللون الرمادي الغامق، وأن الرافعين أنفسهم حملوا تلك الصناديق بسهولة عندما دُهنت باللون الأخضر الفاتح (نظرية اللون، ص 99؛ وجريدة السبيل، العدد، 750 ص 11).

47 تقريرات الرافعي على رد المحتار، الرافعي، دار الكتب العلمية، 1998، بيروت، 770/14.

48 المجموع، النووي، تحقيق: خليل مأمون، دار المعرفة، 2000، بيروت، 452/4.

بينها، لأن الترجيح يعني إهمال أحد النصوص[49]. ولذلك يجب النظر في كراهة أو نهي لبس ألوان معينة ليس لذات الألوان بل لسبب عارض، لأن الأصل في ألوان اللباس الحل والإباحة، فإذا انتفى هذا العارض فرجع إلى أصلها فهو الإباحة.

العوامل في اختلاف النصوص في ألوان اللباس

جاءت بعض الروايات المتعددة في موضوع اللباس، ويبدو على بعضها تعارض ظاهرا، فإنما هو لا في الحقيقة والواقع بل في الظاهر، لأن الأصل في النصوص الشرعية الثابتة عدم تعارض، والحق لا يعارض الحق. لذلك يتطلب الحكم بين الأخبار الصحيحة مختلفة الدلالات أو عند تعارض شكلي في موضوع واحد بجمع وتوفيق بينها قبل الترجيح، ويجب رد بعضها إلى بعض في ضوء نظرة شاملة لمقاصد الإسلام من المكلفين في شؤون الحياة العادية. وهذا الرد قد يكون عن طريق تفسير المبهم وتخصيص العموم وتقييد الإطلاق وغير ذلك من طرق معرفة دلالات الألفاظ وفق مراعاة الأحوال[50].

مر بنا مسبقا ضمن ما يشترط لمشروعية اللباس؛ عدم تشبه اللباس الخاص بالكفار، وعدم تشبه لباس كل من الرجل والمرأة لباس الآخر ومن خصوصياتهما، وأن لا يكون لبس شهرة ومظنة كبر، وأن يخلو من الإسراف والتبذير، وأن لا يكون حريرا ولا ذهبا بالنسبة للرجل. الأخبار الصحيحة التي تدل على نهي لبس ألوان معينة كالأحمر والمزعفر ليس لذات الألوان بل لسبب عارض، كاتصال اللون بشيء المحرم كالحرير في حق الرجل، أو اتخاذها شهرةً وتكبرا، أو تشبه بغير المسلمين أوالجنس الآخر، أو كونه سرفا وترفا، أو حالة شخصية طارئة كالعدة في حق المرأة. فإذا انتفى هذا العارض فرجع إلى أصلها فهو الحل والجواز بغير كراهة.

---

[49] كيف نتعامل مع السنة النبوية، يوسف القرضاوي، مكتبة المؤيد، 1991، السعودية، ص 115.

[50] كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص 105-117.

بعد هذه النقط المشار إليها فلنعرض الروايات التي المجيزة والمنهية في لبس الأحمر[51] والمعصفر[52] والمزعفر[53] كالتالي:

الأحمر

- روواه عبد الله بن عمر قال: "*نهى رسول الله عن المفدَّم*"[54].
- روي رافع بن خديج قال: *خرجنا مع رسول الله في سفر، فرأى رسول الله على رواحلنا وعلى إبلنا أكسية فيها خيوط عِهنٍ حُمر، فقال رسول الله: " ألا أرى هذه الحمرة قد علتكم؟"، فقمنا سراعا لقول رسول الله حتى نفر بعض إبلنا، فأخذنا الأكسية فنزعناها عنها*[55].

---

[51] قد حصر الحافظ ابن حجر سبعة أقوال في مسألة لبس الأحمر في حق الرجال (فتح الباري على صحيح البخاري، ابن حجر، ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، د.ت، بيروت، 305/1-306). يمكن اختصارها في قولين: القول الأول: أنه يكره لبس الأحمر الذي لا يخالطه لون آخر للرجال، وهو المذهب عند الحنفية والحنابلة (الإختيار، 463/4؛ وكشاف القناع، البهوتي، عالم الكتب، 1983، بيروت، 284/1؛ والمغني، ابن قدامة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن وغيره، دار عالم الكتب، 1999، السعودية، 301/2). والقول الثاني: أنه يباح بغير كراهة، وهو المذهب عند المالكية والشافعية (الاستذكار، ابن عبد البر، تخريج: عبد المعطي أمين، دار قتيبة، 1993، دمشق، 170/26؛ والمجموع، 453/4).

[52] فيه ثلاثة قوال: القول الأول: أن حكمه التحريم على قول عند الحنفية وقول للإمام الشافعي (العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، ابن عابدين، دار المعرفة، د.ت، بيروت، 323/2-324؛ والمجموع، 449/4). القول الثاني: أنه يكره لبس المعصفر مطلقا، وهو المذهب عند الحنفية والحنابلة والمالكية، وقيّد مالك الكراهة بالمحافل والأسواق (حاشية ابن عابدين، ابن عابدين، تحقيق: حسام الدين بن محمد، دار الثقافة، 2000، دمشق، 358/6؛ والإختيار، 463/4؛ وتقريرات الرافعي، 770/14؛ والاستذكار، 169/26-174؛ وكشاف القناع، 284/1؛ والمغني، 229/2). القول الثالث: الإباحة بغير كراهة، وهو المذهب عند الشافعية (المجموع، 450/4).

[53] فيه ثلاثة أقوال للفقهاء: القول الأول: تحريم لبس المزعفر للرجال فقط دون النساء، ووهو مذهب الشافعية (المجموع، 449/4-451). والقول الثاني: كراهة لبس المزعفر، وإليه ذهب الحنفية والحنابلة (حاشية ابن عابدين، 358/6؛ وتقريرات الرافعي، 770/14؛ وكشاف القناع، 284/1؛ والمغني 299/2). والقول الثالث: إباحة لبس المزعفر من غير كراهة، وإليه ذهب المالكية (الاستذكار، 169/26).
إن الزعفران يصبغ صبغا أصفر.

[54] المفدم: هو الثوب المشبع حمرة. ابن ماجه، كتاب اللباس، باب كراهية المعصفر للرجال، ح 3601.

[55] أبو داود، كتاب اللباس، باب في الحمرة، ح 4070.

- روي عن البراء بن عارب قال: "*نهانا النبي عن المياثر الحمر*"[56].
- عن عبد الله بن عمرو قال: "*مرّ على النبي رجل وعليه ثوبان أحمران، فسلّم عليه، فلم يردَّ النبي عليه*"[57].
- روي عن هلال بن عامر عن أبيه قال: *رأيت رسول الله بمنى يخطب على بغلة وعليه بُرد أحمر*[58].
- عن البراء بن عازب قال: "*كان رسول الله مربوعا، وقد رأيته في حلة حمراء، ما رأيت شيئا أحسن منه*"[59].
- روي عن عبد الله بن عباس قال: "*كان رسول الله يلبس يوم العيد بردة حمراء*"[60].

بعد الجمع بين الأخبار القولية والفعلية التي تدل صراحة على جواز لبس الأحمر ونهيه، والنهي قد يكون واردا لضرب معين من الأحمر أو لاتصاله بشيء المحرم كالحرير في حق الرجل أو لإتخاذها شهرةً أو لتشبه بغير المسلمين أو النساء في زمنه صلى الله عليه وسلم أو لكونه سرفا وترفا أو لحالة شخصية. لأنه لو كان حراما لما لبسه أبدا، وحتى أنه عليه السلام لبسه في يوم العيد الذي أظهر ما يكون فيه للعيان وأيضا يوم الفرح للمسلمين.

المعصفر

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: *رأى رسول الله عليّ ثوبين معصفرين، فقال: "إن هذه من ثياب الكفّار، فلا تلبسها"* [61].

---

[56] البخاري، كتاب اللباس، باب لبس القسي، ح 5838.

المَيَاثر: جمع مِثْيَرَة من مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج ويحشى قطن أو صوف يجعلها الراكب تحته.

[57] أبو داود، كتاب اللباس، باب في الحمرة، ح 4069.

[58] أبو داود، كتاب اللباس، باب الرخصة في ذلك، ح 4073.

[59] البخاري، كتاب اللباس، باب الثوب الأحمر، ح 5848.

[60] الطبراني، المعجم الأوسط، ح 7609.

[61] مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، ح 2077.

- ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: *رأى النبي عليّ ثوبين معصفرين، فقال: "أأمك أمرتك بهذا؟" قلت: أغسلُهما؟، قال: "بل احرقهما"* [62].
- عن علي رضي الله عنه: "*أن رسول الله نهى عن لبس المعصفر*"[63].
- روي عن ابن عمر قال: "... *وأما الصفرة فإني رأيت رسول الله يصبغ بها، فأنا أحب أن أصبغ بها*"[64].

المعصفر هو المصبوغ بالعُصْفُر، والعصفر: اسم للتويجات الزهرية من نبات القُرطم، تحتوي هذه التويجات على زيت وأصباغ، إحداها حمراء والأخرى صفراء، وكان العصفر يستخدم قديما في صباغ الثياب، وغالب ما يصبغ به يكون أحمر اللون[65]، أو بعبارة أخرى أنه صبغ لونه أحمر مُشْرَب بصفرة.

بعد الجمع بين الأخبار القولية والفعلية التي تنهى عن لبس المعصفر والأحمر والتي تجيز لبس المعصفر والأحمر، لأن المعصفر يعبر عنه في الأحاديث تارةً باسمه الخاص، وتارة بالاسم العام الذي هو الأحمر. فتتبين العلة بأنها التشبه إما بالكفار وإما بالنساء كما دلت الروايات على ذلك صراحة. قال الشافعي: *إنما أرخصت في المعصفر لأني لم أجد أحدا يحكي عن النبي النهي إلا ما قال علي: "نهاني رسول الله -ولا أقول نهاكم- عن لبس المعصفر*"[66].

المزعفر

- جاء في شأن المحرم فيما روي عن ابن عمر قال: " *نهى النبي أن يلبس المحرم ثوبا مصبوغا بورس أو زعفران*"[67].

---

62 مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، ح 2077.

63 مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، ح 2078.

64 البخاري، كتاب اللباس، باب النعال السبتية وغيرها، ح 5850.

المصبوغ بالأصفر غير المصبوغ بالزعفران والعصفر، ذلك أن الأصفر لون أصلي، والمزعفر والمعصفر لونهما طارئ. فلبس الأصفر يجوز بلا خلاف بين الفقهاء لحديث ابن عمر السابق حيث قال: "...*وأما الصفرة فإني رأيت رسول الله يصبغ بها، فأنا أحب أن أصبغ بها*" (تقدم تخريجه).

65 لسان العرب، 581/4.

66 أبو داود، كتاب اللباس، باب من كرهه، ح 4046؛ والمجموع، 450/4.

67 البخاري، كتاب اللباس، باب الثوب المزعفر، ح 5848.

- رواه أنس بن مالك قال: " *نهى النبي أن يتزعفر الرجل*"[68].
- روي عن عمار بن ياسر قال: *قدمت على أهلي ليلا وقد تشققت يداي ، فخلّقوني بزعفران، فغدوت على النبي فسلمت عليه فلم يردَّ عليَّ ولم يرحب بي. وقال: "اذهب فاغسل عنك هذا"... وقال: "إن الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير، ولا المتضمخ بالزعفران ولا الجنب"* [69].

إن الظاهر من الحديث الأخير الذي دل على تخلق عمار رضي الله عنه في يده أن المراد بالنهي هو التخلّق بخلوق الزعفران في حق الرجال، لا بالزعفران وحده، والخلوق هو طيب مركب من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، تغلب عليه الحمرة والصفرة، وهو من طيب النساء[70].

يبدو أن النهي عن التزعفر ومثله استعمال الورس والمدر والعصفر متّجه إلى المحرم، لأن المحرم لا يجوز له استعماله لأنواع الطيب، فهذه الأشياء من الأصباغ المطيبة. وكذلك عند من يراه المباح من الفقهاء أنه التزعفر في البدن دون التزعفر في اللباس. أي أن النهي قد يكون محمولا على الجسد والشعر، لا على الثياب. ويستنبط أيضا بمفهوم المخالفة من نهي المحرم عن لبس المصبوغ بالزعفران أن غير المحرم يباح له لبسه[71].

- ما روى عبد الله بن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم: " *ينهى النساء في إحرامهن عن القفازين والنقاب وما مس الورس والزعفران من الثياب ولتلبس بعد ذلك ما أحبت من ألوان الثياب*"[72].

- ما روي عن امرأة من بني أسد قالت: *كنت يوما عند زينب امرأة رسول الله ونحن نصبغ ثيابا لها بمَغْرَة*[73]*، فبينا نحن كذلك إذ طلع علينا رسول الله فلما رأى المغرة رجع، فلما*

---

68 البخاري، كتاب اللباس، باب النهي عن التزعفر للرجال، ح 5846.

69 أبو داود، كتاب الترجل، باب في الخلوق للرجال، ح 4176.

70 الفروق، القرافي، 2/210-213.

71 أحكام اللباس المتعلقة بالصلاة والحج، سعد الخثلان، مكتبة الرشد، 2001، الرياض، ص 456.

72 أبو داود، كتاب المناسك، باب ما يلبس المحرم، ح 1827.

73 المغرة: طين أحمر يصبغ به (لسان العرب، 5/181).

رأت ذلك زينب علمت أن رسول الله قد كره ما فعلت، فأخذت فغسلت ثيابه ووارت كل حمرة، ثم إن رسول الله رجع فاطلع، فلما لم ير شيئا دخل[74].

لا يوجد ما يدل على منع النساء من لون معين، إلا أن يكون فيه تشبه بالرجال أو الكفار، أو تكون محرمة ومعتدة[75]، الخبر الأخير الذي يفيد كراهة الأحمر في حق النساء ليس على إطلاقه، بل يبدو لحالة معينة.

لابد من الإشارة إلى قاعدة مهمة، وهي اعتبار عرف البلد في تحديد الألوان، فإن تعارف أهل بلد ما على أن هناك ألوانا معينة لا يرتديها إلا الرجال، فإنه يحرم حينئذ على المرأة ارتداء تلك الألوان لأجل التشبه الحاصل باللون. وكذلك لو تعارف أهل بلدة على المنع من لبس لون معين لا يليق بالنساء أو الرجال ارتداؤه، فالمروءة تركه، أو إذا كان ارتداء المرأة للون معين يلفت الأنظار إليها في بيئتها لندرة ذلك اللون فتتركه لكي لا يكون لباسها لباس شهرة. ومن هذا القَبيل أيضا لو وُجد لون خاص بالكفار وعُرفوا به ولم ينتشر لبسه بين المسلمين فتتركه لحرمة التشبه بهم، لا لذاته[76]. وقد أشار ابن حجر العسقلاني إلى هذا المعنى حيث قال: " *الذي أراه جواز لبس الثياب المصبّغة -أي الملونة- بكل لون، إلا أني لا أحب لبس ما كان مشبعا بالحمرة، ولا لبس الأحمر مطلقا ظاهرا فوق الثياب، لكونه ليس من لباس أهل المروءة في زمننا، فإن مراعاة زي الزمان من المروءة ما لم يكن إثما، وفي مخالفة الزي ضرب من الشهرة*"[77].

يظهر مما سبق وجوب مراعاة العرف في اللباس كما هو الشأن في كثير من الأحكام، وذلك في تحديد هيئات وأنواع اللباس، فعلى المسلمة والمسلم مراعاة زي أهل بلدهما المعتاد، فيما لا يخالفون فيه شرع الله ولا سنة نبيه، وفي ذلك مقصد شرعي مهم هو البُعد عن الشهرة التي تحصل بالتميّز عن المعتاد بسبب اللون والشكل ونحوهما.

---

74 أبو داود، كتاب اللباس، باب في الحمرة، ح 4071.

75 المرأة المحرمة تنهى عن المصبوغ بورس وزعفران، والمرأة المعتدة تنهى عن ألوان اللباس التي تعتبر زينةً في عرفها.

76 أحكام تجميل النساء، المدني، دار الفضيلة، 2002، الرياض، ص 237.

77 فتح الباري، 306/1.

تقال للمعتدة المحدة أيضا. والمارد بالاعتداد أن تتربص بنفسها ولا تتزوج في مدة عدتها. والمراد بالحداد أن تجتنب المعتدة مظاهر الزينة (فتاوى النساء لمجموعة من العلماء، ص 355).

جاءت فتاوى بعض العلماء المعاصرين فيما يتعلق بهذا الأمر، أذكر منها الفتوى المنسوبة إلى هيئة كبار العلماء وإلى اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية حيث نصت على أنه: " *يجوز للمرأة أن تلبس من الثياب ما هو معتاد للنساء من أي لون كان، لكن ما كان خاصا بالرجال لا تلبسه النساء، فقد ورد لعن المتشبهات من النساء بالرجال وبالعكس*"، وأيضا " *يجوز أن تلبس المرأة أي لون من الثياب، إذا كان ساترًا لعورتها، وليس فيه تشبّه بالرجال وبغير المسلمات، وليس ضيقا يحدد أعضاءها، ولا شفافًا يشف عمّا وراءه، ولا مثيرًا للفتنة*"[78].

استعمال الألوان في حالة الإحداد

أما المحدّة فحالتها مختلفة من حالة المرأة غير المحدة؛ فلباس المحدة يجب أن يكون بعيدا عما جرى العرف باعتباره زينة، بصرف النظر عن اللون والشكل باتفاق الفقهاء[79]. وعلى سبيل المثال يكون الثوب الأحمر محظورا إذا جرى العرف عند قومها باعتباره من ملابس الزينة، أو إذا كان يزيدها جمالا، لأنه يجب على المحدة من وفاة زوجها ترك كل ما يعتبر زينة من طيب وصبغ ولباس وغير ذلك من الزينة شرعا أو عرفا سواء كان يتصل بالبدن أو الثياب ما دامت في الإحداد إلا لعذر.

---

78 الفتوى رقم 5089، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

79 المبسوط، السرخسي، دار الدعوة، 1982، إستانبول، 59/6؛ وبدائع الصنائع، الكاساني، تحقيق: علي محمد معوض وغيره، دار الكتب العلمية، 1997، بيروت، 456/4-457؛ وحاشية ابن عابدين، 350/10؛ وجواهر الإكليل، الأبي، دار المعرفة، د.ت، بيروت، 389/1؛ والاستذكار، 218/18؛ والمجموع، 181/18، 187؛ والمغني، 288/11-289.

أما المعتدة من طلاق بائن فاختلف الفقهاء في حكم تركها الزينة لغير مطلقها، وذلك على ثلاثة أقوال: القول الأول: إنه يستحب للمطلقة طلاقا بائنا ترك التزين، وهذا المذهب عند الشافعية (المجموع، 181/18). القول الثاني: إنه يباح لها ذلك، وهو قول المالكية (الاستذكار، 221/18-222)، ورواية عن الإمام أحمد وهي المذهب (المغني، 285/11). القول الثالث: إنه يجب عليها ترك التزين، وهو قول الحنفية (بدائع الصنائع، 462/4-463؛ وحاشية ابن عابدين، 348/10)، والقول القديم للشافعي (المجموع، 181/18).

- روي عن أم عطية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "*لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا، ولا تلبس ثوبا مصبوغا إلا ثوب عصب...*"[80].
- عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "*المتوفى عن زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب، ولا الممشقة، ولا الحلي، ولا تختضب، ولا تكتحل*"[81].

فدلت الأحاديث على النهي عن لبس ما صبغ من الثياب ولبس الحرير وغيرها لاعتبارها من الزينة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. والحاصل أيضا من النصوص كانت المحدة من وفاة زوجها أو المعتدة من طلاق بائن يجب أن تترك كل ما يعتبر زينة في عرفها وعادتها. فلباس المعتدة يجب أن يكون بعيدا عما جرى العرف باعتباره زينة، بصرف النظر عن اللون والشكل، كي لا تكون هذه الأشياء التي يتزين بها وتزيد المرأة جمالا ذريعةً إلى الرغبة في المرأة في هذه الفترة الممنوعة من النكاح.

الحكم في لبس ألوان معينة ليس لذات الألوان بل لسبب عارض، فإذا انتفى هذا العارض فرجع إلى أصلها فهو الإباحة، كاتخاذ السواد ثوبا للتعزية[82] أو أن يلبس الإنسان خلاف زيه المعتاد عند مصيبة الموت مرفوض حيث أنه من عادات غير المسلمين. مثال آخر أن في أوساط القرن التاسع عشر بإستانبول كانت تلبس التركيات حذاء أصفر، والأرمنيات أحمر، والروميات أسود، واليهوديات أزرق[83]، إذا يتّخذ الكفار لونا خاصا في لباسهم كما في المثال المذكور فيجب على المسلمين مخالفتهم ومغايرتهم خروجا عن التشبّه بهم لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم وفعل، وكل رمز

---

[80] مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة، ح 938.

[81] أبو داود، كتاب الطلاق، باب فيما تجتنبه المعتدة في عدتها، ح 2304.

[82] ذهب الحنفية والشافعية، وهو الظاهر من مذهب المالكية، إلى أنه يحرم لباس السواد تأسفا على فقد الميت، سواء من أهله أو من غيرهم ممن يعزيهم، لأنه فعل يتضمن إظهار الجزع والتسخط، وينافي الصبر والاستسلام الواجب لقضاء الله (حاشية ابن عابدين، 533/3؛ الفتاوى الهندية، جماعة، المكتبة الإسلامية، 1310، تركيا، 167/1؛ تحفة المحتاج مع حاشية الشرواني، 180/3؛ حاشية قليوبي على المحلي، 343/1). أما الحنابلة ذهبوا إلى كراهة أن يلبس الإنسان خلاف زيه المعتاد عند مصيبة الموت، إلا أنهم قالوا: إنه لا بأس أن يجعل المصاب على نفسه علامة من ثوب أو ريشة أو غير ذلك من العلامات حتى يعرف وتتيسر تعزيته (الفروع، ابن مفلح، راجعه: عبد الستار أحمد، عالم الكتب، 1984، بيروت، 292/2؛ وكشاف القناع، 161/2).

[83] Osmanlı Kanunlarında Giyim-Kuşam Yasakları, Fatma Koç ve Emine Koca, Türk İslam Medeniyeti Akademik Araştırmalar Dergisi Sayı 10/Yaz, Konya-2010, s.45.

وشعار وهيئة وما عرف من خصائصهم المظهرية الأخرى من هذا القبيل، وهو أمر يختلف باختلاف الظروف والأزمنة والأمكنة.

التفاضل بين ألوان اللباس

الأخبار الصحيحة دلت على استحباب اللون الأبيض في اللباس وحثه عليه السلام لبسه في حالي الحياة والموت، وصرّح بأنه أطيب وأطهر وخير الألوان وأحبها إلى الله ورسوله، ولذلك كان أكثر لباس رسول الله هو البياض[84] لعل بما فيه من معنى رمزي نقاء وصفاء[85]. واتفق الفقهاء على استحباب البياض وأفضليته خصوصا في الكفن والإحرام وفي لباس ليوم الجمعة والأعياد[86]، وذلك من باب تحسين الهيئة والشكل.

قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " *إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه*"[87]. وحمل الجمهور الأمر بتحسين الكفن على الندب[88]، وحمله الحنابلة على الوجوب[89]، ولكل فهمه من النص. وأما المراد بتحسين الكفن فبياضه، ونظافته، وسبوغه، وكثافته من غير مغالاة[90] فيها. إن أكثر ما يبرز أمام القارئ ضمن الأوصاف المذكورة في الكفن المحسّن صفة بياض اللون فيه، ومنشأ ذلك ما ورد من الأخبار الصحيحة والعمل المتوارث المنقول. وما اختير للنبي عليه الصلاة والسلام فهو محبّب ومقدم على

---

84 إحياء علوم الدين، الغزالي، دار ومكتبة الهلال، 2004، بيروت، 91/3.

85 اللون الأبيض أطهر من غيره، لأن أدنى شيء يقع عليه يظهر منه، فهو من هذه الناحية لون شفاف يُظهر ما عنده. وقال النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه: "*ونقّني من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس*" (البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ما يقول بعد التكبير، ح 744).

86 الإختيار، 463/4؛ والمجموع، 452/4؛ وكشاف القناع، 286/1.

87 مسلم، كتاب الجنائز، باب تحسين كفن الميت، ح 2182.

88 حاشية الدسوقي، الدسوقي، دار الفكر، د.ت، دمشق، 413/1.

89 كشاف القناع، 103/2.

عند جميع الفقهاء الكفن المحسن –كما صرّحوا– كالثياب التي يلبسها في الجمعة والأعياد.

90 حاشية ابن عابدين، 228/5–237؛ والمجموع، 197/5؛ ومغني المحتاج، 338/1–339؛ والمغني، 384/3–385.

غيره. استعمال وأفضلية الأبيض في ثوب الميت -وهو الكفن- فعنصر مهم في عملية تجهيز الميت قبل الدفن منذ عصور قديمة إلى يومنا هذا، لما فيه من معان جميلة مثل الطهر والنقاء[91].

- قال رسول الله: "*إلبسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم*"[92].
- قال في رواية أخرى: "*إلبسوا من ثيابكم البيض فإنها أطهر وأطيب*"[93].
- روي عن عائشة أنها قالت: *كُفن رسول الله في ثلاثة أثواب بيض سحولية*[94].

فتدل هذه الروايات المذكورة على استحباب البياض في الأكفان، لأنه أطهر وأطيب وخير ألوان الثياب. وأجمع أهل العلم على استحبابه، وصرّحوا به في كتبهم[95]، وكره الحنابلة أن يغطى نعش بغير أبيض[96]. وأيضا تدل الروايات على استحباب اللون الأبيض في غير الأكفان، واستعماله في سائر جوانب الحياة، وأن يلبسه الأحياء في حياتهم اليومية. ولذلك قال الفقهاء باستحباب لبس الأبيض في يوم الجمعة[97]، وهو عيد جعله الله تعالى للمسلمين. وعُدّ لبس الأبيض من الأشياء التي تُحسّن المنظر.

---

91 قد نقل المؤرخون أن قدماء اليونان والهندوس والعبرانيين كانوا يكفنون موتاهم أحيانا بملابسهم التي كانوا يعتادونها، وغالبا ما كانوا يكفنونهم بكفن أبيض. وكذلك كان بعض العرب في الجاهلية يكفنون موتاهم بكفن مكوّن من قماش أبيض مصنوع غالبا من الكتان، مثلما كان البعض الآخر منهم يدفنون موتاهم بالألبسة التي تختلف باختلاف جودة القماش وثمنه تبعا لمنزلة الميت ومنصبه عندهم، وكان التكفين على هذا النحو يمثل درجة تقديرهم لذاك الميت. وروي أن جدّ رسول الله عبد المطّلب لُفّ في حُلتين يمانيتين، ذلك أن أهل مكة أو الحجاز عامة كانوا يفضلون البرود اليمانية على غيرها في التكفين، خاصة الأكفان السحولية، وهي أثواب بيض من كرسف -أي من قطن كانت تنسج في "سحول"، قريةٍ باليمن-. وإلى جانب هذا كان من عادتهم أن يدفنوا أبطالهم بما عليهم من الأسلحة من حديد وجلد ونحوهما. (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 5/125-126؛ TDV İslam Ansiklopedisi 25/184-185)

92 أبو داود،كتاب اللباس، باب البياض، ح 4061.

93 الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في لبس البياض، ح 2810؛ النسائي، كتاب الجنائز، باب أي الكفن خير، ح 1896.

94 البخاري، كتاب الجنائز، باب الثياب البيض للكفن، ح 1264.
سحولية: نسبة إلى سحول -بفتح السين- قرية باليمن كانت تجلب منها تلك الثياب. والسحولية -بضم السين- ثياب القطن (المجموع، 5/194).

95 حاشية ابن عابدين، 5/228، 237؛ وجواهر الإكليل، 1/110؛ والمجموع، 5/195-196؛ وكشاف القناع، 2/105، 108.

96 كشاف القناع، 2/108.

97 المغني، 3/229-230.

أما الإحرام هو ركن من أركان الحج والعمرة في حق الرجل عند جمهور الفقهاء[98] وشرط من شروط الصحة عند الحنفية[99] فصفته في السنة أن يكون الإزار والرداء أبيضين جديدين، وإلا مغسولين باتفاق الفقهاء[100]. فإذا أحرم في لباس ملوّن فجائز، إلا أنه يكون قد ترك ما هو أحب وأولى بلباس الإحرام. ولعل البياض في صفات ملابس الإحرام جدير بأن يرمز ما في الإسلام من نقاء وصفاء ويبعث في المسلم الشعور بوجوب الاستغفار والتوبة في كل حين حتى يكون كاللون الأبيض طاهرين من دَرَن الذنوب والمعاصي. بل إن منظره الأبيض وشبهه بكفن الميت ومجيء جميع الحجاج على هيئة واحدة ووقوفهم بعرفة، كل هذا كفيل وحده بأن يكون لمسلم واعظا ومذكرا بموقف يوم القيامة وانتظار العباد الحسابَ وما يؤول إليه مصيرهم.

- عن جابر بن عبد الله قال: *أن رسول الله دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء*[101].

هذه الرواية تبين اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لون الأسود لعمامته في يوم الفتح الذي هو يوم النصر، لعل اختياره لونا أسود لما فيه من معان من الهيبة والقوة، والله أعلم.

- عن سودة بنت مِشْرح قالت: *كنت فيمن حضَر فاطمة حين ضربَها المخاضُ في نسوة، فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "كيف هي؟"، قلت: فوضعت، فسرُّوه ولفّوه في خِرْقة صفراء، فجاء رسول الله فقال: "ما فعلتْ؟"، قلت: قد ولدتْ غلاما، وسرَرْتُه ولَفَفْتُه في خرقة، قال: "عصيتِنِي"، قالت: أعوذ بالله من معصية الله ومن غضب رسوله، قال: "ائتيني به"، فأتيتُه به، فألقى الخرقة الصفراء، ولفَّه في خرقة بيضاء، وتَفَلَ في فيه، وألْبَأه بريِقه...* الحديث[102].

---

98 جواهر الإكليل، 168/1؛ ونهاية المحتاج، الرملي، د.ن، 1983، بيروت، 236/3.

99 بدائع الصنائع، 151/3 و158.

100 حاشية ابن عابدين، 7/8-10؛ ومواهب الجليل، الحطاب، تخريج: زكريا عميرات، دار عالم الكتب، 2003، الرياض، 217/4؛ والمجموع، 214/7؛ ومغني المحتاج، الشربيني، دار الفكر، د.ت، دمشق، 480/1؛ وكشاف القناع، 407/2.

101 مسلم، كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام، ح 1358.

102 الطبراني، المعجم الكبير، 41/3.

الحكم في لبس ألوان معينة ليس لذات الألوان بل لسبب عارض، وهذا العارض هنا التشبه بالنساء حيث أن اللون الأصفر في اللباس كان يُستعمل على الأغلب من قبل النساء، فلذلك أصرّ النبي صلى الله عليه وسلم على تغييره.

علاقة اللون بالثمن والقيمة

إن اللون قد يكون من الأمور ذات القيمة المادية عند الناس خاصة في بعض المبيعات، وهذا ينعكس غالبا على الثمن. وهذه المبيعات التي تكون ألوانها المعينة ذات قيمة مادية عند الناس تختلف التفاضل بين الألوان حسب العادات والأزمان والأماكن. والسبب في الاختلاف يرجع بنسبة كبيرة إلى الأذواق والأمزجة ودلالات الألوان عند الناس وتأثيراتها عليهم، وهذا يؤثر في طلب المستهلكين وفي الثمن. وعلى سبيل المثال الأسود الذي كان مفضَّلا في كثير من المبيعات كالألبسة عند العباسيين، أما عند الأمويين فلم يكن كذلك، بل كان على عكسه. ومثله الأحمر، فإنه لون مفضّل ذو قيمة كبيرة في التيار الشيوعي وعند الشيوعيين.

وذكر الحنفية في كتبهم مثالا يناسب هذه النقطة التي نحن بصددها: أنه إذا صبغ صباغ ثوبا بالأسود؛ فالسواد عند الإمام أبي حنيفة نقصان في الثوب، وهو عند الصاحبين كسائر الألوان الأخرى سواء. وقيل إن هذا كان اختلاف عصر وزمان، فإن لبس السواد لم يكن ظاهرا في زمن الإمام فعدّه نقصانا في الثوب، وقد ظهر في عهدهما فكان زيادة عندهما فقالا بها. وقيل أيضا: بل هذا يختلف باختلاف الثياب: فمن الثياب ما يُنقِص السوادُ من قيمته كالقصب ونحوه، فيكون ذلك نقصانا فيه كما قال الإمام أبو حنفية، ومن الثياب ما يزيد السواد في قيمته[103].

قال ابن تيمية (ت 728 ه): " *وقد كره أحمد بن حنبل لبس السواد في الوقت الذي كان شعار الولاة والجند، واستعفى الخليفة المتوكل من لبسه... وهذا لأنه كان لباس الولاة والأمراء وأعوانهم مع ما كانوا فيه من الظلم والكبرياء وإخافة الناس وترويعهم ... وكره أن يلبسه الرجل إذ ذاك لأنه من تشبه بقوم فهو منهم، ولأنه يصير بذلك من أعوان الظلمة أو يخاف عليه أن يدخل في أعوانهم*"[104].

---

103 المبسوط، السرخسي، 54/19.

104 شرح العمدة، ابن تيمية، دار العبيكان، 1993، الرياض، 127/2.

وخلاصة القول إن اللون يدل على النوعية والجودة في بعض المبيعات مما يؤثر في الطلب والقيمة والثمن، مثلما أن اللون عامل أو وصف ذو قيمة مادية لدى الناس في بعض المبيعات الأخرى، وقد يتفاوت هذا حسب الشخصيات والأعراف والأزمنة والأمكنة.

الموضة في ألوان اللباس من منظور الفقه الإسلامي

من الطبيعي أن يختلف اللباس من بلد إلى آخر على مر الزمان تبعًا للبيئة والمناخ والعادات وغير ذلك، ولكنه في النتيجة يجب أن يكون مناسبا للأهداف الأساسية من اللباس التي وضعتها الشريعة الإسلامية ووفق القواعد والضوابط الشرعية التي سبقت على وجهه العام. والأصل في الأشياء الإباحة والجواز حتى يرد دليل شرعي يخصص الأصل، فالنظر إلى الموضة من منظور الفقه الإسلامي يقتضي نظرا أعمق من هذا الأصل، لأن القضية ليست شراء وبيع الملابس وفق الموضة فقط. ويجب قراءة المستجدات والحوادث في ضوء نظرة شاملة لمقاصد الإسلام من المكلفين في شؤون الحياة العادية.

كلمة "موضة" هي اصطلاح غربي حديث، ومعناه اللغوي "الزي الحديث"، فالموضة لا تطلق على ما يليق بالإنسان. فهي سريعة التغير حيث أنها تتغير بتغير الزمان والمكان والفصول والشهور، ولا تقتصر على الأزياء والأحذية والحقائب والحجابات فقط، بل أيضا الشَعر والأبدان والأجساد وتقريبا كل الأشياء حول الإنسان، وصارت تحدّد وزن الجسم ولون الشعر وشكل الأنف وسماكة الشفاة وطول الأظافر وأثاث البيوت تحت مسمى "مثالي" في دائرة لا ينتهي بها الدوران.

واللباس يحمل عدة صفات محسوسة، ومن أهم تلك الصفات هي اللون. والتصميم اللوني وزخرفة الألوان من العناصر المستهدفة والأساسية في تداول تلك المهرجانات العامة والإسلامية. فأحيانا تظهر موضة الألوان كوحيدة اللون وسيادتها بين الناس من الألوان الداكنة أو الفاتحة أو الزاهية، وأحيانا كاختلاط وتشكيل الألوان.

استحدث النمط الإسلامي أو الطرز الإسلامي في مهرجانات الموضة العالمية، وحتى صارت تُنظم في السنوات الأخيرة مهرجانات الموضة الإسلامية بشكل مستقل عن تلك المهرجانات العامة لازدياد رواج وتقبّل في المجتمعات المسلمة. وتلك مهرجانات الموضة الإسلامية التي يتمّ ترتيبها

تحت شعار "حلال" وكذلك "حديث أو معاصرة (modern)"، وبعضها تُنظم ضمن الإحتفالات بعيد المولد النبوي كما يحصل في روسيا وماليزيا[105]. والإتجاه الإسلامي صار جزءا من إنتاج الأزياء في المجتمعات المسلمة الذي له حصة كبيرة في السوق التجاري، وينتشر يوما بيوم لنمو الطلب عليه، ويمكننا أن نعد أسباب ذلك كالآتي:

1) العامل التجاري والاستهلاكي وترويج البضاعات
2) وسائل الإعلام أو حملات إعلامية دعائية
3) تزايد الإهتمام بالمظهر الخارجي بين المسلمين
4) تعمّد التقليد والتبعية بما عليه الآخرون -خاصةً من المشهورين-
5) الترف والبذخ الذي تعيشه بعض البيئات
6) اهتمام بالماركات والموديلات المعينة
7) تأثير الألوان على النفسية

"الموضة" منشؤها هي الغرب، ودخلت إلى البلاد الإسلامية عن طريقه، وأوجدت تحت اسم "تيار التغير العصري المنفتح" لتحقيق بعض الأهداف ليست ذات نيّة حسنة، وهي:

أ- صرف الناس عن الأمور المهمة وتشغيلهم بالأشياء الضئيلة

الإسلام جعل الزينة وسيلة وليست غاية، والموضة أمر هوائي، وانشغال الناس باللباس وبما تحتوي الموضة من الأشياء أكثر عن اللزوم فيه إضاعة الوقت والجهد والمال، فهذا الأمر كان من ضمن التحذيرات النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: " *تعس عبد الدينار وعبد الدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض*"[106].

ب- السيطرة على الشعوب بشكل عام وعلى الشعوب الإسلامية بشكل خاص

أصبحت للموضة قوة التأثر وسيطرة وسلطة حيث تختار للإنسان وتلزمه بالمختار، وفي رفض ذلك تتم التهمة بالرجعية والتخلّف وعدم مواكبة التطوّر. والتجريف في تيار الموضة من طرق الاستعمار

---

105 http://ifdcouncil.org/
http://arab.rbth.com/entertainment/2013/06/22/23631.html
106 البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، ح 2886.

المتعددة التي تكون ذريعةً للسيطرة والسيادة، فهي أمر مخطط لها من قِبل تخطيطات سياسية عميقة تخدم جهات معينة التي تبث سمومها من الناحية المادية والمعنوية.

ج- استنزاف أموال الناس

أصبح الاستهلاك في غالب الأحيان مرتكزا على السعي وراء الموضة التي تجعل أن تتبع الأزياء والملابس؛ الأحذية والحقائب والأكسسوارات وحتى الحجابات وغيرها، وليس مرتكز على الإحتياجات، أو يمكننا القول ضوابط وحدود الإحتياجات تغيرت بمرور الزمان. إن الموضة تتغير بسرعة مذهلة، فحتى أصبحت تُنظم "أسابيع الموضة"، وهي تتنوع في اللباس والأزياء بالذات؛ أزياء العمل، وأزياء الراحة، وأزياء الرياضة، وأزياء المناسبات والإحتفالات، وأزياء النوم، والأزياء الفصلية إلخ، فكل هذا التنوع موضوع أيضا في الأحذية والحقائب وفي غيرها. فهذا بالطبع يؤثر على الشراء والإنفاق الزائد عن اللزوم الذي قد يعني الإسراف المحرّم في الشريعة الإسلامية.

د- فرض السيادة بالتبعية المحضّة والتقليد الأعمى

إن في اتّباع المسلمين لأزياء غيرهم دليل تخلل وانهزام، فالأمة إذا تخلت عن طابعها الخاص طبعت بطابع الأمة التي قلدتها وأخذت بزيها، وهذا الأمر أكّد عليه ابن خلدون (ت 808 ه) بقوله: "*...أن المغلوب مولع أبدا بالإقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أنّ النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبَها وانقادَت إليه: إما لنظَرِه بالكمال بما وقرَ عندها من تعظيمه أو لما تُغالِط به من أن انقيادها ليس لغَلَبٍ طبيعي إنما هو لكمالِ الغالب، فإذا غالطت بذلك واتّصل لها حصل اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبّهت به، وذلك هو الإقتداء أو لما تراه، والله أعلم، من أنّ غَلب الغالب لها ليس بعصبيّة ولا قوّة بأس، وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تُغالِط أيضا بذلك عن الغَلَ، وهذا راجعٌ للأوّل. ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه، ومركبه، وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله ...*"[107].

يتزايد الترويج للموضة والأزياء بدور الإعلام بمختلف وسائله على أساس أن مسايرة الموضة الحديثة يعد مظهرا من مظاهر الحداثة والعصرنة والتحضر والتمدن. لا شك هذا الإدعاء يؤثر في تحويل توجّه الناس من القضايا الأولوية إلى القضايا الشكلية، فأصبحت قضية التقليد للمشاهير

[107] المقدمة، ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ط 9، ص 116.

خاصة طريقا للفخر والمباهاة. فهذا التقليد -تحت مسمى الموضة- ليس فقط من ناحية الأزياء والأحذية والمساحيق والشعر، بل أيضا من ناحية الحمية وتخسيس الجسم وحتى لون البشرة إلخ لتقليد عارضات الأزياء مما يثير في الأنفس المقلِّدة الإحساس بالعجز عن التشبّه بهن. فالتشبه بالآخرين يدل على ضعف الهوية والشعور بالنقص الذاتي وعدم الثقة بالنفس وفكرة أفضلية ما عند المقلَّد، وهناك نقطة أخرى مهمة أنها التشبّه الشكلي الظاهري يتسرّب تدريجا إلى القلب.

إن الإنسان يكون بالتقليد -الأعمى- تابعا لمن يملي عليه صفة لباسه. وفي الأصل الشريعة هي التي تهدي إلى الصفات الصحيحة. وهذه الصفات تؤيد وجود إشكالية مهمة في التقليد، فهي الشخصية المقلَّدَة، إذا تكون الشخصية المقلَّدَة غير مسلمة فالحكم الشرعي على حظره وحرمته من باب التشبّه بغير المسلمين، وكذلك التشبه بالجنس الآخر تحتى مسمى "اللباس المشترك بين الجنسين (unisex wear)". وأحيانا يتجاوز التقليد إلى الإبتكار والبحث عن كل ما هو غريب وجذاب ولافت النظر، فجلب الانتباه إلى الأجساد والصور أيضا من الأمور المردودة في الإسلام باتفاق الفقهاء. ومن الجانب الآخر اقتناء كل ما هو جديد وعصري يدل المستهلك على الإسراف الحرّم وغيرة الآخرين والتنافس الباطل أيضا.

الخاتمة

دعا الإسلام الإنسان إلى الفضيلة والعفاف وستر عورته، وأمره باتخاذ اللباس الساتر، وصون جسده عن كل ما يؤذيه كالحر والبرد، وذلك بعيدا عن الإسراف وضمن حدود الاعتدال والوسطية، إظهارا لنعمة الله تعالى عليه وتكريما له بأن يكون مظهره جميلا لائقا. وفي الوقت نفسه حث الإسلام على التزين في الأبدان وتحسين الهيئة ضمن الحدود المشروعة، فكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم الاعتناء بنظافة جسمه وملابسه وشعره وتزيين نفسه، باتباع هديه عليه السلام إرضاء خالقه سبحانه.

إن الألوان لها تأثير بالغ في فكر الإنسان وعواطفه ومهاراته وعلاقاته الإجتماعية، وهي اتخذت لها دلالات جمالية وتزيينية ورمزية وتعبيرية ووظيفية. والاهتمام بالألوان -أيا كان زمانه ومكانه- لم يكن

مقصورا على البُعد الجمالي والفيزيائي فحسب. فاللون متناول في علوم ومجالات متنوعة ومتعددة، وكل علم نظر إليه بوجهة نظره الخاصة.

الألوان في اللباس من أهم عناصر شكلية ووصفية. جاء في الأخبار الصحيحة في شأنها ما يفيد من النهي أو الذم أو الإقرار أو الاستحباب. والحكم في نهي لبس ألوان معينة ليس لذات الألوان بل لسبب عارض، فإذا انتفى هذا العارض فرجع إلى أصلها فهو الإباحة.

اللون قد يكون وصفا مرغوبا في المبيع لغرض معين لدى المستهلك أو قد يكون مما يؤثر في طلب المستهلك حيث يزيد في قيمة وثمن المبيع، وذلك مثلا من خلال الموضة العالمية أو المحلية. يلاحظ مما سبق أن اللون وصف ذو قيمة مادية في بعض المبيعات. ولذلك الكثير من مصمّمي الأزياء ومصممي الدعايات والإعلامات يستخدمون الألوان التي تجذب الناس أكثر إلى ما يعرضونه من إنتاجهم مثل الألوان الدافئة التي تنبض بالتحفز والحركة والحرارة.

الموضة أمر هوائي، وسريعة التغيّر حيث أنها تتغير بتغير الزمان والمكان والفصول والشهور والمناسبات، ولا يقتصر على الأزياء والأحذية والحقائب والحجابات فقط، بل أيضا يتدخل إلى الشَعر والأبدان والأجساد والأشياء حول الإنسان، وصارت تحدّد لون الشعر وشكله، والطول والقصر، والسمنة والنحافة وأثاث البيوت تحت مسمى "مثالي (ideal)" الذي يرافقه غالبا الانجراف وراء عادات الأجنبي وأزيائه وأخلاقه.

قاعدة "الأصل في الأشياء الإباحة" ليست على إطلاقها، ولا تعني أن الإنسان يتصرف في المباحات كيفما يريد ويصل إلى الإفراط والتفريط، فعليه أن يسلك مسلك الإعتدال في الأشياء المباحة وأيضا عدم النسيان في وجوب تغير المباحات للحاجة إليه في بعض الحالات. أما الحكم العام أن الملبس الجميل المتناسق في ألوانه وشكله طاعة إذا خلا من المخالفات الشرعية كالتهاون في الحجاب والتشبه بغير المسلمين وبالجنس الآخر وما عرف من خصائصهم والإسراف وارتداء لباس الشهرة والتكبر، وتوافرت له النية الصالحة. والوعي السليم يقتضي القراءة الصحيحة للوقائع بالعقلانية، والعقلانية والشخصية القوية والمميزة والمستقلة تتطلب عدم الإجراء وراء كل محدث بدون نظر وتحقيق، وأيضا تتطلب التمسّك بالقيم والمبادئ الأخلاقية النبيلة المرافقة للإيمان السليم..